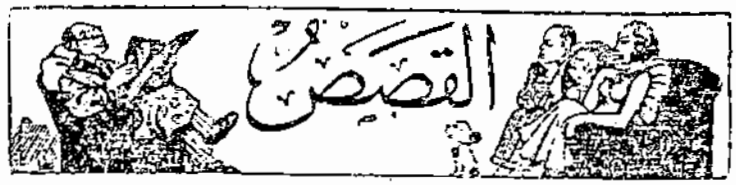

آل بونتبي ...

للكاتب الأمريكي ستيفن فنسنت بنيت

تتكون عائلة بونتبي من تسعة أفراد : أم ، وأب ، وستة أولاد ، ثم خادم متقدمة السن . وهم يعيشون في مجاهل الغابة حيث يقتطعون الأخشاب ويتجرون فيها ، وبذلك اعتزلوا البلدة وأهلها فسرت تلك الأشاعات الهامسة التي كان يتناقلها أهل البلدة عنهم وذلك الشعور المبهم الذي كان يساورهم كلما رأوهم قادمين بين كل فترة طويلة وأخرى لتبادل المحاصيل بالمواد الغذائية اللازمة ، أو حين يتوجهون إلى الكنيسة في أيام الآحاد ، حتى لقد قيل عنهم إنهم يضربون في مجاهل تلك الغابة المخيفة حتى ائتلفوا مع حيواناتها المفترسة وأصبحت تربطهم بها صلة صداقة وثيقة .

شاء القدر أن يتوفى عميد العائلة ، ثم تلحق به زوجه ، وسرعان ما توفيت الخادم العجوز كذلك ، وتركوا الأبناء وحدهم وقد شعروا بابتئاس تلك الوفيات المتلاحقة ، فهاهي ذي الأتربة بدأت تتراكم على النوافذ والجدران ، وها هم أولاء يطهون طعامهم بأيديهم ، طعامهم الذي فقد نكهته الأولى التي تعودوها في حياة والديهم .

ولما تشاوروا فيما بينهم لم يجدوا مخرجاً من ذلك المأزق الحرج وبديلا لتلك الحياة الشاقة سوى أن يتزوج أحدهم حتى ترعى امرأته المنزل بما لها من حنكة النساء ودرايتهن بتدبيره . ولما اختاروا أكبرهم ويدعى هاري للقيام بتلك المهمة التي سبق أن أجمعوا على صعوبتها ، حاول أن يتهرب منها وأن يلقي بالعبء على أخيه الذي يليه ؛ ولكن هذا حاول أن يسند الأمر إلى من يصغره ... وهكذا ... حتى وجد هوب الأصغر أنه هو المكلف بالأمر فامتنع واعتذر منذ أشهر بذلك إلى معالي السيد عبد الرزاق السنهوري بصفته وزيراً لمعارف أكبر أمة إسلامية عرفت واشتهرت بمواقفها المشرفة في الدفاع عن الإسلام وشعوبه ، كما فيها أكبر معهد إسلامي يرنو إليه مسلمو الأرض بعين الثقة والأمل ألا وهو الأزهر ، وأهبت بمعاليه أن يتفضل ويدرس الموضوع في مرجعه والقيام بالتوسط لدى ناشري الدائرة لحذف مايتنافى وكرامة من يدين بدينه أكثر من أربعمائة مليون مسلم ثم تزويدهم ببحث وافٍ مستفيض عن حياة الرسول الأعظم وكذلك عن مشاهير رجال الإسلام ليكون جاهزاً ينشر في الطبعة المستقبلة .

وأنا الآن أستنهض هم الهيئات المختصة من دينية ومدنية لا في مصر وحدها بل في جميع الأقطار الإسلامية للقيام بواجبهم نحو دينهم ورجال دينهم الذين لولاهم لما كنا اليوم نستنشق عبير الهواء ونطمح إلى حياة موفورة الكرامة ومنزلة رفيعة مرموقة تحت الشمس . واعلمهم إن شاء الله فاعلون .

(البصرة) أحمد حمد آل صالح

التواءات نفس

من نكد الدنيا على الأدب أن يوجد أديب واحد من أبناء هذا العصر ينزل منزلة المزورين في الأدب يلفق كلاماً يلصقه بغير قائله . ومن سوء طالع هذا الجيل أن يكون فيه كاتب واحد جبان لا يجرؤ على القول الحق والمجاهرة به .

لقد سمعنا بمقالات كان يكتبها أديب يدافع فيها عن الشعر الرمزي مذيلة بإمضاء غيره ؛ ولكننا لم نسمع عن حادث في الأدب كحادث التزوير الذي ذكره الدكتور شريف القبيج في العدد السابق من الرسالة في الدفاع عن الشاعر الرمزي بشر فارس .

وعلى الرغم من شناعة هذه الفرية الشائنة التي ألصقها مخلوق مريض النفس بأدبنا العصري ونهضتنا الزاهرة ، أحذر الأدباء هذا الانحطاط الخلقي وأهيب بهم مجافاة هؤلاء المرضى بالالتواءات النفسية ؛ لأن حكمهم ليس كحكم أصحاب العاهات من عميان ومحدودبين ومبتوري السوق تتقزز النفس لمرآهم ، بل كحكم مرضى يوبئون المجتمع بجراثيمهم الخلقية وعللهم النفسية ، وسنعمل على تطهير المجتمع الأدبي منهم .

حبيب الزحلاوي

واقترح أن يقترعوا فيما بينهم وكانت نتيجة الاقتراع أن اختير هارى الأكبر .

وفى اليوم التالى ألبسوه أنظف لباس ثم أرسلوه إلى المدينة ليبحث عن زوجة له .

سار مشتت الفكر مبلبل الخاطر وقد قرر أن يفاتح أول فتاة تقابله فى أمر الزواج به . ولكن كانت أول من قابلته امرأة متزوجة ، ثم التقى بطفلة صغيرة ، وأخيراً ابنة الحاكم التى ما إن رآته حتى فرت هاربة .

فغمره اليأس ودخل حانة صغيرة وجلس بقرب النافذة ليشرب كوباً مثلجة من الخمر . وبينما هو يرسل نظرة تائهة نحو الخارج رآها ، وكانت فى ملابس الخادمات ، ريانة العود ، عذبة الملامح . ولم يشعر بنفسه إلا وهو يسرع إليها ويبتدرها قائلا :

— ما أبهج الصباح ، وما أسعدنى بلقائك ، يا له من يوم جميل يصلح لأن يكون يوم زواج .

فنظرت إليه طويلا ثم ابتسمت قائلة : هو كذلك .

فتشجع وقال فى حماسة : أتتزوجيننى ... أنا أدعى هارى بونتى وأسكن الغابة وأصلح لأن أكون زوجاً طيباً .

فتمنعت قليلا فى بادىء الأمر ولكنها سرعان ما وافقت . فأخذها من يدها مسرعاً إلى الحاكم ليعقد عليهما ثم اشترى لها ملابس جديدة وعاد بها إلى منزله عودة الظافر المنتصر .

ولما رأت اخوته الخمسة قالت — لماذا لم تخبرنى بذلك ياهارى من قبل ؟

فقال : لعل سعادة لحظة الزواج أنستنى كل شىء عداها .

ثم دخلت ذلك المنزل الكبير واستعرضت ما فيه فهالتها الأتربة المتراكمة والكميات الوافرة من الطعام التى تكفى لإشباع بطون كثيرة ، وأكوام الملابس القذرة التى فى أشد الحاجة إلى أيد تغسلها وتتعهدها . فشمرت عن ساعديها وأقدمت على العمل مجتهدة وتناول الفتيان ليلتئذ أول عشاء جيد لم يسبق أن تذوقوه منذ شهور .

كرت الشهور تتلوها الأيام واحتلت ميلى فى نفوسهم جميعاً مكانة عظمى فأصبحوا رهن إشارتها يضحون بكل ما تطلبه منهم كما تغيرت وجهة نظرها الأولى التى كانت تحفظها عنهم وهى فى البلدة إذ وجدت فيهم أناساً يتحلون بأنبل السجايا وعجبت كيف يختلق أهل القرية تلك الإشاعات المفتراة عنهم .

ويوما ، لاحظ عليها زوجها أنها تكد وتجتهد وتكافح فى سبيلهم حتى هزل جسدها ومال الضعف من قوتها فقال لها — يجب أن تنالى راحتك ولو قليلا يا عزيزتى .

فنظرت اليه فى ابتسامة وقالت — وبخاصة وأنا أشعر بذلك الجنين الذى بدأ يتحرك فى أحشائى .

فاجتمعت العائلة وقررت أن يتزوج هلبرت الأخ التالى حتى تمد زوجته يد المساعدة إلى ميلى فى إدارة المنزل .

وفى صباح اليوم التالى توجه هلبرت إلى البلدة وانتظره إخوته ولكنه عاد فاشلا ، فما من فتاة قبلت الزواج منه . وهن يتعجبن كيف تسنى لميلى أن تحتمل أعباء المعيشة معهم . فأرسلوا هوسيا الذى يصغره فى اليوم التالى ليجرب حظه ... ثم الأصغر ... ثم الأصغر ... إلا أنهم أخفقوا جميعا فى مساعيهم . وأخيراً لم تجد ميلى مفراً من أن تقف فيهم قائلة :

« يا إخوتى الأعزاء ، يجب أن تسلكوا طرقا أخرى تمكنكم من نيل مآربكم ، فلقد رفضت هؤلاء الفتيات الزواج منكم بعد أن سألتموهن ، فلنجرب طريقة أخرى ، لم لا تتزوجوهن أولا ثم تسألوهن الموافقة بعدئذ !. »

فهتفوا فى صوت واحد — وكيف ذلك ؟

فقالت — لقد قرأت يوما فى كتاب من كتب التاريخ أن جماعة من الرومان تقدموا للزواج من فتيات بلدة من البلدان ولكن لسوء حظهم رفضت الفتيات أن يرتبطن معهن بتلك الرابطة ، فما كان منهم إلا أن أغاروا على البلدة ليلا وعادوا بنسائهم اللاتى اختاروهن عنوة معهم . فاذا لم تفعلوا أنتم مثلهم فلن أكون لكم أختا بعدئذ ، ولن تتقدم يدى إلى طعامكم أو ملابسكم ، بل عليكم أنتم أن تفعلوا كل شىء بأيديكم كسابق عهدكم .

فساد الصمت بينهم ولكن عاد صوتها يقول — أرجو ألا ينفذ اليأس إلى قلوبكم ، فأن ما يجعلهن يحجمن عن الزواج بكم إنما هى تلك الإشاعات الكاذبة التى يفتريها القوم عليكم هناك ،

ولكنى أؤكد أنه إذا ما قبلت إحداهن الزواج فسرعان ما تتقاطر الأخريات عليكم .

وبقيت صامتة فترة إلى أن خطر لها أن تسأل .

— هل هناك من يحرر عقوداً سوى الحاكم ؟

فأجابوها — هناك قسيس فقير فى الغابة .

— حسنا لقد انتهى الأمر .

كان اليوم أحد أيام الأعياد الوطنية ، وقد اعتاد الأهالى أن يتركوا أسلحتهم فى منازلهم فى مثل تلك الأعياد . وفى المساء وأهل البلدة فى هرجهم ومرجهم إذ بهم يفاجأون بالأخوة بونتبى وقد أشهروا أسلحتهم مهددين ... وسرعان ما انطلقوا هاربين بعد أن حملوا معهم صفوة الفتيات التى اختاروهن ولم ينسوا أن يغلقوا أبواب البلدة خلفهم جيداً حتى وصلوا إلى منزلهم فى الغابة سالمين .

عالج أهل البلدة فتح الأبواب فلم يتمكنوا من ذلك إلا فى الفجر ، وكانت الثلوج تتساقط فى غزارة حتى عجزوا عن تمييز أى شىء . وبقيت الحال على ذلك عدة أيام طويلة بعدئذ حتى دب اليأس إلى قلوبهم خوفا من الذهاب إلى منزل آل بونتبى مخترقين تلك الطريق المظلمة الخطرة ولم يجدوا بداً من الانتظار حتى الربيع .

أمسكت الفتيات فى بادئ الأمر عن تناول الطعام وتمسكن بأهداب الفكرة التى كانت تحوم برؤوسهن دائما عن العودة إلى أهلهن . ولما لاحظت ميلى ذلك الامتناع البغيض ، جعلت تدبر الأمر فى سياسة ، فأول ما فعلت أن جهزت لهن الشاى وجعلت تقنعهن حتى تناولنه ... ولما سرى الدفء فى أجسادهن بدأت تقول . « إنه لمن دواعى أسفى حقاً يا آنساتى أن أجدكن على تلك الحال التعسة بعد أن اختطفكن هؤلاء الوحوش . ولو أنى علمت أن تلك هى نواياهم لنصحتهم بالعدول عنها . بودى لو تعدن جميعاً إلى بلدتكن ، ولكن ما حيلتى الآن ... والثلوج متراكمة فى الطريق ... علينا إذن أن ننتظر حتى الربيع . ولكنى أؤكد لكن أنى سأحرص دائما على بقائكن فى أمان ودعة » .

ثم أخرجت مجموعة كبيرة من الفاتيح وعادت تقول « سنبقى نحن هنا ، ونغلق علينا أبواب المنزل جيداً ، أما هؤلاء الحمقى فليتناولوا طعامهم وليناموا فى حظيرة البهائم حتى تحزم ضمائرهم ويندموا على هذه الفعلة الشنعاء » .

فأشرقت وجوه الفتيات لذلك ، وقادتهم ميلى إلى حجراتهن وهن يشعرن بصداقتها الحقة .

طلت الحال على ذلك أسبوعا كاملا ، فالفتيات داخل المنزل المغلقة أبوابه وقد تحققت أحلامهن القديمة عن حياة خالصة من شوائب الرجال . يا للسعادة حينئذ ... جعلت ميلى تحبذ تلك الفكرة فتقول : « آثرن يا صديقاتى أن الحياة بدون رجال جنة من جنات النعيم والخلد » وكن يوافقنها فى حماسة فى بادىء الأمر .

إلا أن الملل بدأ يتسرب إلى نفوسهن على مر الأيام وبدأن يسأمن ذلك الحديث ، ولاحظت ميلى أنهن يحاولن بقدر المستطاع رؤية أحد الفتيان من النوافذ أو من خلف الستائر كما بدأت تقوم بينهن المنازعات ... وحينئذ ... قررت ميلى أن تخطو خطوتها الثانية

جمعتهن يوما فى حجرة واسعة بطرف المنزل فاستعرض الفتيات ما فيها من أثاث وإذا بابنة الحاكم تفتح صندوقا وقعت عليه عينها فوجدت فيه ثوب عرس فأفلتت منها صيحة إعجاب جعلت الباقيات يتجمعن حولها ويتحسسن الثوب فى رغبة خفية .

فقالت ميلى فى حزم — دعن الثوب ... لقد صنعته لما حاول أحدهم الزواج بإحداكن ... دعنه ... ولكنهن تجاهلن كلماتها وأسرعت ابنة الحاكم ترتديه وهى تقول :

— إن هوب الصغير له شعر مجعد ، كم هو مضحك

فقالت ابنة المحامى — ليس لهوب ما لهلبرت من جمال

فقالت الثالثة — أرأيت عينى هارفى ، إنهما فاتنتان بنظراتهما الهادئة الوديعة .

وقالت الرابعة : ما أجمل اسم هوارد وما ألطف وقعه على الأذن !

فقالت ميلى وهى تتظاهر بالخوف — ما هذا يا فتياتى ... أأصابكن الجنون ؟

فرمقتها جميعاً بنظرات التحدى والثورة حتى اضطرت إلى إن تخبرهن بأن هناك أربعة أثواب أخرى غير هذا الثوب .

ولما بدأن يهرعن لرؤيتها أوقفتهن وهى تقول — إن أردتن الزواج من آل بونتبى ، فليس هناك أى مانع ، ولكن اعلمن أنى لا أزال مسئولة عنكن أمام آبائكن ، فبمجرد زواجكن